هل شكرت الله على نِعَمِه ؟

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعــالى أســبغ النِّعم الكثــيرة. وأعطى العطايا الغزيرة.. والصلاة والسـلام على النــبي الطــاهر، وآله وأصـحابه أكــرم ناصر. وبعد:

إليك يا من أظلتك الســـماء بنجومهـــا.. وأقلتك الأرض؛ فـــــــــرتعت على ظهرها وأديمهــا! شـــربت من مائهـــا.. وأكلت من زرعهــا.. ســخِّرت لك الأنعــام.. وذللت لك الأرض،ومخرت في لجج البحــار! فــأخرجت منها لحمًا طريًا.. وحلية تتزين بها!

نِعمٌ دارَّة.. وعطايا نازلـــــة! لا يحصــــيها العدُّ.. ولا يحبط بها العلم!

يا ابن آدم! هل تذكرت يومًا صاحب هـذه النِّعم؟!

هل لهج لسانكَ بشكر رب تلك النعم؟!

أخي المســـــلم: نِعَمُ الله تعــــالى عليك كثيرة.. فهل شكرت الله تعالى عليها؟!

حاسب نفســـك.. واســألها: هل أنت من الشاكرين؟! كم من نعمة عليك في صباحك ومســـــائك؟! وكأنها تناديـــــك: هل أديت شكري؟!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172].

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14].

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78].

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: 73].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: 71-73].

فعجبًا لمن رتع في نعم الله تعالى؛ ونسي أن يذكرها! نسي أن هذه النعم من

الوهَّاب الذي بيده خزائن كل شيء!

عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قـال: «ما قلّب عمر بن عبد العزيز بصـره إلى نعمة أنعم الله عز وجل بها عليـه؛ إلا قـال: اللهم إني أعـوذ بك أن أبـدل نعمتك كفرًا، أو أكفرها بعد معرفتها، أو أنسـاها فلا أثني بها».

وعن ابن أبي الحـواري قـال: «جلس فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذكران النعمّ! فجعل سفيان يقول: أنعم الله علينا في كـذا، أنعم الله علينا في كذا، فعل بنا كذا، فعل بنا كذا».

هكذا كـان الصـالحون يتـذكَّرون نعم الله تعـالى عليهم.. ويظل ذلك دائمًا حـديث نفوسـهم؛ فلا يغيب عنهم لطف الله تعـالى بهم.. وإفضاله عليهم.

قـال ابن المنكـدر لأبي حـازم: «ما أكـثر من يلقاني فيـدعو لي بـالخير، ما أعـرفهم، وما صنعت إليهم خـيرًا قـط!» فقـال له أبو حـازم: «لا تظنَّ أنَّ ذلك من قبلـك، ولكن انظر إلي الـذي جـاءك ذاك من قبله فاشكره».

ما أروع أولئك الرجـال! الـذين ما غـاب

عنهم مراقبة آلاء من لا زال متفضِّـلاً عليهم بدقائق النعمَ!

فهنيئًا لقلب وقف عند النظر إلى جلائل إحسانه؛ فأقر بالنعمة لخالقه تبارك وتعالى؛ فاشتغل بشكره.. ولهج بالثناء عليـه.. فـأين أنت أخي المسلم من قافلة الشاكرين؟!

فإيَّاك أن تكون بعيـدًا عنهـا! وإلاَّ وجـدت نفسك في طريق آخـــر.. ولعله طريق أهل الكفران بالنعمة!

ولا تظنَّ أن نعم الله تعـــالى لا تتجـــاوز مأكلك ومشربك وملبسك!

فإن من ظنَّ ذلك فهو جاهل.. غافل!

قـال الحسن البصـري: «من لا يـرى لله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشـــــــرب أو لباس، فقد قصر علمه، وحضر عذابه!».

جـاء رجل إلى يـونس بن عبيـد، يشـكو ضيق حاله.

فقـال له يـونس: أيسـرك ببصـرك هـذا الذي تبصر به مائة ألف درهم؟

قال: لا! قال: فبيدك مائة ألف؟!

قال الرجل: لا!

قال: فبرجليك؟!

قال الرجل: لا! قال: فـذكَّر نعم الله عـزَّ

وجلَّ.

فقال يـونس: أرى عنـدك مـئين الألـوف، وأنت تشكو الحاجة؟!

أخي المسـلم: هـذا هو طـرف من نعم الله تعـالى على خلقه نبَّه إليها هـذا الإمـام هذا الرجل الذي جـاءه يشـكو إليه الحاجـة، وقد غاب عنه ما هو فيه من النعمة!

وهـذا حـال الكثـيرين ممن قصر فهمهم عند إدراك حقيقة نِعَم الله تعالى..

وافهم أيها العاقـــــل؛ أن من أعظم نعم الله عليـــــك: الهداية إلى دين الإســـــلام.. والثبات على التوحيد.

جـــــاء عن مجاهد في قوله تعـــــالى: ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾.

قال: لا إله إلا الله..

وقال سفيان بن عيينة: «ما أنعم الله عز وجل على العباد نعمة أفضل من أن عرَّفهم أن لا إله إلا اللـــه.. قـــال: وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا».

وقال بكر بن عبد الله المزني: «من كان مسـلمًا، وبدنه في عافيـة؛ فقد اجتمع عليه سـيد نعيم الـدنيا، وسـيد نعيم الآخـرة! لأن سـيد نعيم الـدنيا هو العافيـة، وسـيد نعيم

الآخرة هو الإسلام».

ودخل رجل على ســـهل بن عبد اللـــه، فقال: «اللص دخل داري وأخذ متاعي».

فقال: اشـكر اللـه، فلو دخل اللص قلبك – وهو الشــيطان – وأفسد عليك التوحيــد، ماذا كنت تصنع؟!».

أخي المســـلم: تلك هي نعمة الإســـلام أعظم وأغلى نعمة نعمت بها.. فهل شكرت الله تعالى عليها؟!

هل تذكَّرْتَ عظم هذه النعمة؟!

كم هم مســـاكين أولئك الـــذين وقفت عقـــولهم عند نعمة الأكل والشـــرب، ولم تتذكر هذه النعمة العظيمة!

قـــال ابن القيم: «شـــكر العامة على المطعم والملبس وقـوت الأبـدان، وشـكر الخاصة على التوحيد والإيمـــان وقـــوت القلوب».

أخي المسلم: إذا كنت من الشاكرين لله تعـالى على نعمه فـأنت على خـير عظيم.. وإن الهداية إلى الشـــكر نعمة تســـتحق الشكر!

قال رسول الله ﷺ: «**ما أنعم الله على**

عبد نعمة فحمد الله عليهـا؛ إلاَّ كـان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة..»
[رواه الطـبراني وغـيره/ صـحيح الجـامع: 5562].

قـال ابن القيم: «يقـال: الشـكر على الشـكر أتمُّ من الشـكر؛ وذلك لأن تـرى شـكرك بتوفيقـه، وذلك التوفيق من أجـلِّ النِّعم عليك؛ تشـكر على النعم، ثم تشـكره على الشكر».

وجـاء عن بكر بن عبد الله المـزني أنه قـال: «ما قـال عبد قـط: الحمد للـه؛ إلا وجبت عليه نعمة بقولـه: «الحمد للـه!» قلت: فما جـزاء تلك النعم؟ قـال: «جزاؤها أن يقول: الحمد للـه، فجـاءت نعمة أخـرى، فلا تنفد نعم الله عز وجل!».

فلتحاسب نفسـك.. هل أنت من الشاكرين؟!

وإذا كنت منهم.. هل أنت من الشـاكرين على نعمة الشكر؟!

ثم: هل حاسـبت نفسك على إحاطة نعم الله بك من كل ناحية؟!

وها أنت غـاد ورائح في نعم الله تعـالى.. وكل ذلك يـدعوك إل الشـكر والثنـاء على

الوهاب تبارك وتعالى..

قــال رســول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكــلَ الأكلَة فيحمـــده عليهــا، أو يشــرب الشَـرْبَة فيحمـدَهُ عليها**» [رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «**الطاعم الشاكر؛ له مثل أجر الصـــائم الصـــابر**» [رواه أحمد والترمـــذي وابن ماجه والــــدارمي/ صحيح ابن ماجه للألباني: 1440].

أخي المســلم: تــذكر دائمًا أنك راتع في نعم الله تعــالى.. فلا تســتحقرنَّ نعمة من نعمـــه.. فكم من نعمة يضـــيق العلم عن معرفة قــــدرها وعظمهـــا! ولا تفهمن أن النعمة أن تكون كثير المال.. واسع الـثراء.. غارقًا في أنــواع اللــذات.. بل إن نعم الله تعـــالى عليـــك؛ فيها ما هو أعظم من ذلك وإن كنت قليل المال..

قـال رسـول الله ﷺ: «**من أصـبح منكم آمنًا في سـربه، معـافى في جسـده، عنـده قـوت يومـه، فكأنَّما حـيزَتْ له الـدنيا بحـذافيرها!**» [رواه البخـاري في الأدب المفـــــرد، والترمـــــذي وابن ماجه وغيرهم/ صحيح الجامع: 6042].

وعن مكحـــــول: «أنه ســـئل عن قوله تعــالى: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ قال: بارد الشراب، وظل المسـاكن، وشِبْع البطون، واعتدال الخَلْقِ، ولذَّة النَّوم».

وقـال يـونس بن عبيـد: «قـال رجل لأبي تميمـة: كيف أصـبحت؟ قـال: أصـبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل! ذنوب سـترها الله فلا يستطيع أن يُعيِّرني بها أحد، ومـودَّة قـــذفها الله في قلـــوب العبـــاد لا يبلغها عملي؟!».

فكما تـــرى أن العــارفين فهمــوا حقيقة النعم، وأنها لا يشـــترط فيها أن تكـــون في بعض الأمــــور الظـــــاهرة كما يفهم ذلك البعض!

فكم من صــاحب نعمــة؛ كثــير المــال، عريض الثراء؛ لم يسـتفد من ذلـك؛ بسـبب أمراض لزمتـه، أو هلع حـلَّ بـه؛ فـتراه غـير متمتع بطيب الطعـــــام، ولا هــــانئ بلذيذ المنام! كثير الشكوى! قليل الشكر!

وكم من فقـير.. مُعْـدَم.. لا يملك قــوت يومه.. ولكنَّه معافًى في جسـده.. ضـاحكًا.. مسرورًا.. لا يحمل هم قـوت غـده.. شـاكرًا ربه تعالى..

فأين هذا من ذاك؟!

قال الحسن البصري: «الخير الذي لا شرَّ فيه العافية مع الشكر، فكم من منعم عليه غير شاكر!».

أخي المسلم: اجعل الشكر من ديدنك، وأنت تطالع نعم الله عليك..

ولتعلم أن الشكر الصادق ما صدقَتْهُ الأعمال؛ فليس شاكرًا لله من شكره بلسانه، وعصاه بجوارحه..

فأين أنت من شكر الجوارح؟!

عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: «الشكر: العمل، لقوله تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا**﴾ يعني: اعملوا عملاً تؤدون به شكرًا».

وقال نصر بن محمد السمرقندي: «ويقال: الشكر على وجهين: شكر عام، وشكر خاص. فأما الشكر العام فهو: الحمد باللسان، وأن يعترف بالنعمة من الله تعالى، وأما الشكر الخاص: فالحمد باللسان، والمعرفة بالقلب، والخدمة بالأركان، وحفظ اللسان وسائر الجوارح عمَّا لا يحل».

فيا من رتعت في نعم الله تعالى؛ إن من

لـــــوازم ذلك أن تحب واهب هـــــذه النعم، وتقوم بحق طاعته تبـارك وتعـالى.. لتكـون بذلك مؤديًا حقَّ شكره..

ولكن كم هو عجيب أن تـرى بعض أولئك الغــافلين؛ الــذين اســتعانوا بنعم الله على معصيته! فصـار حـالهم كعبد أعطـاه سـيده مــالاً، وأنعم عليه بخــير عظيم، فجعل العبد هذا المال عُدَّة له في أذى سيده ومعاداته!

قال رجل لأبي حازم: ما شكر العيــنين يا أبا حازم؟

قــال: إن رأيت بهما خـــيرًا أعلنتــه، وإن رأيت بهما شرًا سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟

قـال: إن سـمعت بهما خـيرًا وعيتـه، وإن سمعت بهما شرًا أخفيته.

قال: ما شكر اليدين؟

قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهمــا، ولا تمنع حقًا لله هو فيهما.

قال: ما شكر البطن؟

قــال: أن يكــون أســفله طعامًــا، وأعلاه علمًا.

قال: ما شكر الفرج؟

قـال: كما قـال الله تبـارك وتعـالى: ﴿**إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـــانُهُمْ فَـــإِنَّهُمْ غَيْـــرُ مَلُـــومِينَ**﴾ إلى قولـــه: ﴿**فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [المؤمنون: 7].

قال: فما شكر الرجلين؟

قــال: إن رأيت حيًا غبطتــه؛ اســتعملتَ بهما عملــه، وإن رأيت ميتًا مقتــه؛ كفقتهما عن عمله، وأنت شاكر لله.

وأما من شكر بلسانه، ولم يشــكر بجميع أعضـائه؛ فمثله كمثل رجل له كسـاء، فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر!».

أخي المسلم: إن شكر النعم أمان للنعم من الــزوال.. وقيد لها من الفــرار.. كما أن كفران النعمة سبب في زوالها!

قـــال الحسن البصـــري: «إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يُشـكر عليهـا؛ قلبها عذابًا! ولهذا كانوا يسمون الشـكر الحافـظ؛ لأنه يحفظ النعم الموجـودة، والجـالب؛ لأنه يجلب النعم المفقودة».

وقــال عمر بن عبد العزيــز: «قيِّدوا نعم الله عز وجل بالشكر لله تعالى».

وقــال بعض الســلف: «النعم وحشــية؛ فقيدوها بالشكر».

ومن شكر النعمة؛ التحدث بها؛ وفي ذلك لفت للسامع إلى نعم الله تعالى..

قــال النــبي ﷺ: «**التحــدُّث بنعمة الله شــكر، وتركها كفــر، ومن لا يشــكر القليــل؛ لا يشــكر الكثــير، ومن لا يشــكر النــاس؛ لا يشــكر اللــه، والجماعة بركــة، والفرقة عــذاب**» [رواه البيهقي في الشعب/ صحيح الجامع: 3014].

وأيضًــا أخي المســلم إن شــكر النعمة مربوط بالزيادة؛ فمن شكر الله تعالى على نعمه؛ زاده.. والزيادة من الله تعالى؛ زيـادة من الغني.. مالك كل شيء!

قال الله تعـالى: ﴿**وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَــكَرْتُمْ لَأَزِيــدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَـرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: 7].

قـال علي رضي الله عنه لرجل من أهل همـدان: «إنَّ النعمة موصــولة بالشــكر، والشــكر متعلق بالمزيــد، وهما مقرونــان في قــرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجــل؛ حــتى ينقطع الشكر من العبد».

أخي المسلم: تلك هي أهم معـالم شـكر الله تعــالى، وإن الموفق من وُفِّق إليهــا.. وكان من أهلها..

فحاسب نفســـــك: أين أنت من مرتبة الشـكر؟! وما هو حظك من هـذه البضـاعة الغالية؟!

فلـتراقب نعم الله تعـالى وهي تَـرِدُ إليك بعين الشــــكر.. ولا تســـتعملنَّ نعمه في معصيته تبارك وتعالى..

واسـأل الله تعـالى الإعانة على شـكره.. عسى أن تكون من الشاكرين..

والحمد لله تعــالى.. والصــلاة والســلام على النَّبي وآله وصحبه..

* * * *